دواوين الشعر العباسي

الدكتور علي احمد الزبيدي
استاذ في قسم اللغة العربية

والحق أن دراسة المشاكل التى تحفل بها دواوين الشعر العباسى الواصله الينا عسيرة من جهة ، ويسيرة من جهة اخرى ! عسيرة ، لأنها تستوجب أمعان النظر في كل ديوان مطبوع او محفوظ ، لتوثيق الشعر الوارد فيه جملة وتفصيلا ، ثم جمع مواد النقد المتجمعة من دواوين عدة لاستخراج النتائج العامة • وهى يسيرة ، لأن القلائل الذين قاموا بتحقيق بعض الدواوين تحقيقا علميا جيدا كشفوا عن كثير من مواطن الضعف التي تهم النقد التاريخى وعلم تحقيق النصوص وذكروها في المقدمات او اشاروا اليها في الحواشى التعليمات•هذا ولا بد لنا ، قبل الشروع في دراسة جدية أن نؤكد أن عمليات جمع الشعر خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين قد سجلت تقدما وتطورا لايستهان بهما في طرق تدوين دفاتر الشعر ، وفي اساليب تبويبها وترتيبها وشرحها • وكانت هذه الخطوة ثمرة اسباب ودوافع مختلفة في طليعتها التجارب والخبرات التي تمخضت عن حركة جمع وتدوين ودراسة شعر العصرين الجاهلي والاسلامي كما ذكرنا في الفصل السابق ، تقول دفاتر الشعر لا ــ دواوينه ــ لاننا ما نزال نفتقر الى دليل تاريخي قاطع يمكننا من الجزم بأن كلمة ديوان وجمعها ــ دواوين ــ كانت جارية في العصر العباسى الاول (١٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) لتسمية المجموعات الشعرية الخاصة والعامة •

يخيل الى أنك ستفاجأ بهذه الملاحظة وتعجب منها ، ولكن عجبك سيفتر او يزول اذا استعرضت مؤلفات رواة ذلك العصر وعلمائه المذكورة في الفهرست وغيره من المصادر ، فبين تلك المؤلفات العديدة ستجد العناوين :
شعر فلان ، او اختيار شعر ، او دفتر شعر ، او اخبار فلان وشعره او صحيفة وصحف أو كراس وكراريس •• الخ [1] أما لفظة ديوان فستمر بك أيضا غير ان السياق يدل على انها من كلام ابن النديم نفسه اذا كنت تقرأ في الفهرست او من كلام المصنفين المتأخرين اذا كنت تراجع مصنفاتهم ، بل ان

---

(١) انظر ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ١٣٨ ــ ١٤٢ وقد شرح المؤلف هذه المسميات لمدونات الشعر الجاهلي .

صاحب الفهرست لم يستعمل لفظ ديوان في الصفحات الكثيرة التي ذكر فيها شعر الشعراء ، فهو يقول : شعر فلان ثم يذكر عدد اوراقه ليس غير [٢] وسبب هذا ان مجاميع الشعر او دفاتره التي اطلع عليها وذكرها ، كانت قد جمعت قبل عصره ، أي قبل القرن الرابع ، وفي ذلك الوقت لم تكن اللفظة في عداد المسميات والمصطلحات التأليفية الشعرية الشائعة ، صحيح انها وردت أو استعملت في معرض الحديث عن بعض علماء القرنين الثاني والثالث الا ان استعمالها كان مجازيا يشير اشارة عامة الى تراث العرب الشعري والنثري والمدون والمروي .

فابو عبيدة « ديوان العرب في بيته » [٣] وابو عمرو الشيباني « أخذ عنه دواوين اشعار القبائل »[٤] فاللفظة هنا من عبارة ابن النديم التي يصف بها الشيباني . ويجرى هذا المجرى ايضا قوله عن ابن بكر الانبارى « وعمل ابو بكر عدة دواوين من اشعار الفحول » [٥] وقوله نقلا عن ثعلب «جمع ديوان العرب وأشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها الوليد بن يزيد»[٦] ومن ابرز القرائن التي تؤيد ملاحظتنا هذه لفظ ديوان لم يرد بالدلالة التي استعملت منذ القرن الرابع وحتى يومنا هذا ، لا في طبقات ابن سلام ولا في الشعر والشعراء لابن قتيبه ، ولم يرد حتى في طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ، وهو متأخر عن الكتابين السابقين ، [٧] فهؤلاء الثلاثة الذين وصلتنا كتبهم يستعملون كلمات او مسميات اخرى من التي اشرنا اليها وذكرناها فيما اقتبسناه من كتبهم في القسم الاول من هذا البحث وحواشيه [٨] . أما مجموعات شعر الجاهليين والاسلاميين من الافراد والزمر والقبائل التي صُنّفت خلال القرنين الثاني والثالث فكانت تحمل اسم شعر او كتاب شعر فلان او كتاب باهله او كتاب تقيف ، او اطلق عليها اسم جامعها كالمفضليات والاصمعيات [٩] ، حتى اذا استعملت كلمة ديوان بدلا من المسميات القديمة

---

(٢) الفهرست ٢٣٣ ـ ٢٤٨
(٣) نفسه ٨٥
(٤) نفسه ١٠٧
(٥) نفسه ١١٨
(٦) نفسه ١٤٠
(٧) يمكن التوثق من هذا بمراجعة الكتب الثلاثة المذكورة .
(٨) يراجع مقالنا في العدد السابق ٢٦ ـ ٢٩
(٩) انظر القائمة التي جمعها ناصر الدين الأسد ورتبها على احرف الهجاء من فصل دواوين القبائل ، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤ من كتابه : مصادر الشعر

في اواخر او اوائل القرن الرابع ، ألحقها الجامعون والشارحون بعناوين المصنفات الاولى • وقد ادرك الدكتور ناصر الدين الاسد بلا ريب هذه الحقيقة فقال حين عرض للفظ كتاب : وسنعرض بعض الروايات التي يرد فيها لفظ الكتاب بمعنى : الديوان او الصحف المجموعة ، وبذلك يكون معناه آنذاك كمعناه عندنا الآن (١٠) •

وقد يقول قائل : أن كلمة ديوان كانت معروفة شائعة الاستعمال في عالم الآدب والشعر منذ القديم او منذ صدر الاسلام على اقل تقدير ؛ فقد ذكروا ان عمر بن الخطاب (رض) قال : عليكم بديوانكم لاتضلوا، قالوا : وما ديواننا قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم • ورووا ان ابن عباس قال مثل هذا القول ، فكان ان شاعت هذه العبارة « الشعر ديوان العرب » وتناقلها الرواة والعلماء والنقاد ، أفلا يدل هذا اذن على أن لفظ ديوان كان يطلق على الشعر وصحائفه ومجاميعه منذ ذلك الحين ؟

وجواب هذا الاعتراض واضح في الجملة نفسها فالكلمة لم تطلق على شعر مجموع لشاعر واحد ، ولا على مجموعة من الشعر المختار بل قيلت على سبيل المجاز لتدل على أنّ الشعر العربي كان بمثابة السجل الذي حفظ أدب العرب وتاريخها • ولا ريب في أن هذا التعبير المجازي هو الذي دفع أحد الأدباء او الوراقين فيمابعد الى استعمال لفظ ديوان بدلا من الالفاظ المذكورة الاخرى • ونحن لا نعرف بالضبط من كان ذلك الاديب او الوراق ولكنا نرجح انه كان من أبناء اواخر القرن الثالث واوائل الرابع اعني الفترة التي انتشرت وقويت خلالها موجة البديع وشاعت فنونه اللفظية والمعنوية في اساليب التعبير حتى شملت اسماء الكتب وبخاصة كتب الشعر والأدب والتاريخ ، لما في هذه الاسماء المجازية من تفنن واناقة وجرس متناسق يجعل العنوان اجمل وقعا وأسهل حفظا واوسع انتشارا • اما كتاب ابن قتيبة المسمى ديوان الكتاب فلم يصل الينا (١١) وواضح من اسمه أنه لايخص الشعر والشعراء بل الكتاب ، وهذا العنوان او الاسم الصق بهم اذ كان يطلق على عملهم وعلى مكانه اى على المكتب الذي يعملون

الجاهلي . نقلا عن الآمدي في المختلف والمؤتلف . ولم ترد فيها كلمة ديوان .

(١٠) نفسه ١٣٩

(١١) الفهرست ١٢١ وقد الف ابن قتيبة كتباً عن الشعر غير الشعر والشعراء منها : معاني الشعر ، وكتاب عيون الشعر الكبير ويحتوي على اثنى عشر كتاباً وكتاب عيون الشعر ويحتوي على عشرة كتب .

فيه كما نقول اليوم • زد على هذا ان نشاط ابن قتيبه العلمى قد امتد الى العقد السابع من القرن الثالث الهجرى وأن مؤلفاته الأخرى لاتشير الى انه اطلق اللفظ على مجاميع الشعر الخاصه او العامه • والمرجح ان الصولى ت ٣٣٦ هـ كان اول من استعمل لفظ ديوان في هذا الحقل ، فقد كانت جهوده التى اشرنا اليها ، أول عملية واسعة منظمة لجمع الشعر المولد • وقد جاءت كلمة ديوان في اسماء ما صنفه من المجموعات الشعرية التي مرت بنا •

ولفظ : ديوان ، على رأى اكثر علماء اللغة والادب • فارسى معرب • قال الصولي في باب الديوان من كتابه ـ ادب الكتاب ـ : هو اسم فارسي تكلست به العرب ، فقالوا ديوان ولم يقولوا ديوان (بالفتح) كما قالوا ديباج ولم يقولوا ديباج • وحدثنى الأصمعى قال : كنا عند ابى عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ ـ فقال له رجل : أسمعت من يقول ديوان (بالفتح) فقال ابو عمرو : لو جاز لقالوا في جمعه دياوين • فقال خلف (الاحمر) قد سمعت بعض حمير ينشد :

عديني أن ازورك أم عمرو دياوين تشقق بالمداد

فقال ابو عمرو لخلف : ان حمير لم يفدها هواء نجد ! » ونبرة السخرية والشك في استشهاد خلف الاحمر واضحة في جواب ابي عمرو اذ لم يكن خلف اهلا للثقة •

وقال الصولى متما كلامه : والمعنى أنه لوكان الواحد ديوان لجمعوا دياوين أن الياء تكون صحيحه أصليه مثل ريحان ورياحين فاذا قالوا ديوان (بالكسر) كانت الياء زائده ، فاذا جمعوا انفتحت الدال فقالوا دواوين لأنهم يقولون دون هذا فالواو أصليه ، كما قالوا ميزان والاصل موزان لانه من الوزن فالواو أصلية ، فمن اجل استثقالهم الكسره مع الواو قالوا ميزان فقلبوا الواو ياء ، فلما جمعوا قالوا : دواوين ردوا الواو لانفتاح الدال (١٢) •

ثم يتحدث الصولى في بقية الباب، عن سبب انشاء الديوان في خلافة عمر (رض) ومن أشار عليه بذلك ،ثم عن تحويل الديوان في العراق من الفارسى الى العربى ايام الحجاج • (١٣)

لقد بدأنا باقوال الصولى عن الديوان مع أن كتب الأدب واللغه والتاريخ قد فصلت القول فيه ، لسببين مهمين : الاول ان الصولى عاش في فترة نشاط

---

(١٢) الصولي : ادب الكتاب (تحقيق محمد بهجة الاثري . القاهرة ١٣٤١) ١٨٧ ـ ١٨٨

(١٣) نفسه ١٩٢ ـ ١٩٦

وازدهار حركة التاليف وجمع الشعر وفق مناهج جديدة ، والثانى ان هذا الاديب كان كثر اهل عصره نشاطا في هذا المضمار • والغريب ان الصولي لم يشر الى الاستعمال الجديد للكلمه في الباب المذكور من كتابه •

اما معاجم اللغة فتكاد تجمع على ان (ديوان) فارسى معرب ، وكررت حجة رجال اللغة الاوائل لاثبات ذلك ، قال ابن منظور : الديوان مجتمع الصحف ، قال ابو عبيدة : هو فارسي معرب ، وقال ابن السكيت هو بالكسر لا غير وبالفتح لغه مولده ، وقد حكاها سيبويه • وقال انما صحت الواو في ديوان ولم تعتل كما اعتلت في سيد لأن الياء في ديوان غير لازمه •• الخ • ثم اعاد ما ذكره الصولي وغيره في هذا الموضوع واورد اقوالا للجوهري وابن دريد وابن برى وابن جنى وابن الاثير الجزري وأكد في الاخير انه فارسى معرب • (١٤)

وكرر صاحب تاج العروس ماذكره ابن منظور مشتشهداً باقوال آخرين، وأكد اصل الكلمة الفارسي مضيفا ماذكره الجواليقي في المعرب والخفاجي في شفاء الغليل (١٥) واورد نقلا عن الماوردى في الاحكام السلطانية رواية تزعم أن كسرى لما اطلع على عمل الكتاب السريع قال هذا عمل ديوان ، اى عمل الجن ، فان ديو بالكسر الجن والالف والنون علامة الجمع عندهم (يقصد الفرس) فبقى هذا اللقب هكذا (١٦) وكان الصولى قد اشار الى هذه الرواية التي أعادها كاتب حاشية القاموس المحيط باختلاف يسير مشيرا الى الماوردي والى المقريزي في الخطط(١٧) وذكرها ايضا البطليموسى في الاقتضاب • ولم يوافق الاستاذا لأثرى على ما اورده الصولى ورجال اللغة فنفى ان تكون الكلمة فارسية وتمسك بعربتيها،وانتقد باسلوب عاطفي البطليموسى والماوردي وابا جعفر النحاس وغيرهم وحجته ان ديوان مشتق من الفعل (دُون) العربى (١٨) وهى حجه ضعيفة ، لأن كلام رجال اللغه ينصب على (ديوان) الافعال من الاسماء المعربه ، وليس لدينا دليل تاريخي او لغوي يثبت ان الفعل الافعال من الاسماء المعربه وليس لدينا دليل تاريخى او لغوى يثبت ان الفعل

---

(١٤) لسان العرب مادة دون عدد ٥٥ ص ١٦٦ طبعة صادر ببيروت .
(١٥) تاج العروس ٩/٢٠٤
(١٦) نفسه .
(١٧) القاموس المحيط ٤\٢٢٤ وقد اشار ابن خلدون (المقدمة ٤٢٩) الى هذه الحكاية وعقب عليها قائلا : وذلك اصل اشتقاق الديوان لأهل الكتابة .
(١٨) انظر الحاشية في ادب الكتاب للصولي بقلم الاستاذ محمد بهجة الاثري .

(دون) كان مستعملا في العربية قبل تعريب الاسم ديوان.ومرد هذه الصعوبة ان هذا اللفظ كان معروفا قبل الاسلام ، وقد أورد ابن الاثير الجزرى وغيره حديثا للرسول (ص) يقول فيه « لايجمعهم ديوان حافظ » [١٩] وقد اشرنا الى ان الكلمة وردت على لسان عمرو بن عباس فاطلقت على سجل الجند والعطاء ويمكن ان يفهم من بعض الروايات انها كانت مستعملة بهذا المعنى في عهد النعمان بن المنذر ملك المناذرة الشهير في الحيرة [٢٠] وليس هذا مستبعدا لعلاقتهم الوثيقة بالساسانين . ويبدو أنها وردت في الشعر الجاهلى والاسلامى ان صح البيت الذي رواه خلف الاحمر وصحت نسبة بيتين آخرين ذكر الصولى انهما لمجنون بن عامر وهما :

انى أرى عائدات الحب تقتلنى
وكان في بدئها ما كان يكفينى
في كل منزلة ديوان معرفة
لم يبق باقية ذكر الدواوين[٢١]

وقد نجد أبياتا أخرى اذا راجعنا مراجعة دقيقة نصوص الشعر الجاهلى والاسلامى المبكر ، ولعلنا فاعلون .

والظاهر ان اهتمام معاجم اللغة ومصادر التاريخ كان منصبا على بيان دلالة ديوان الاصلية وشرح سبب وجود الواو والياء في المفرد واختفاء الياء في الجمع . فالديوان مجتمع الصحف كما جاء في لسان العرب وتاج العروس والمحيط وهو « ديوان الحساب وهى دواونيه » كما قال الزمخشرى [٢٢] . و الديوان « جريدة الحساب ثم اطلق على الحساب ثم اطلق على موضع الحساب وهو معرب .. الخ » [٢٣] كما جاء في المصباح المنير . و « هو الدفتر الذى يكتب فيه اسماء الجيش وأهل العطاء » كما قال ابن الأثير الجزرى في شرحه الحديث الشريف « لايجمعهم ديوان حافظ »[٢٤] اما الدلاله الجديده الأخرى للكلمة ، أعنى اطلاقها على دفتر الشعر او مجموع الاشعار خاصة فلم تحظ بالعنايه اللازمه عند اللغويين ومصنفى المعاجم والمفسرين فمن عادة

---

(١٩) لسان العرب نفسه
(٢٠) السيوطي : المزهر ٢\٤٧٣
(٢١) الصولي ، أدب الكتاب ١٩١
(٢٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ٢٨٩
(٢٣) الفيومي : المصباح المنير ٩٩/١
(٢٤) ابن الاثير الجزري : النهايه في غريب الحديث ٤٢/٢

هؤلاء ، وهو امر يؤسف له ، عدم الاهتمام بمتابعة التطور التاريخى لمدلولات او معانى الالفاظ عبر العصور المتعاقبه • ولعل هذا الاغفال يؤيد كون المعنى الاستعمالى الجديد لديوان جاء متأخرا كثيرا عن المعنى الأصلى الذى اصبح اكثرا استعمالا في الحياة اليومية لتكاثر الدواوين الادارية والحسابية في العصر العباسى • وأفضل الشروح التى تؤيد ما نذهب اليه ما ذكره الخفاجى ، اذ قال عن ديوان : اطلق على الدفتر ، ثم قيل لكل كتاب ، وقد يخص بشعر شاعر معين مجازا حتى جاء حقيقة فيه ، فمعانيه خمسة : الكتبه ، ومحلهم ، والدفتر ، وكل كتاب ، ومجموع الشعر »[٣٥] وهذا النص الذى يورده صاحب تاج العروس عن الخفاجى يختلف قليلا عما ورد في النسخه المطبوعه من شفاء الغليل، فقد جاء فيها : يطلق على الدفتر، وعلى محله ، وعلى الكتاب، ويخص في العرف بما يكتب من الشعر [٣٦] وسواء كان القسم الأول الذى اورده صاحب التاج من اسلوبه او من اصل كلام الخفاجي فان ما جاء في كلا النصين ، بالاضافة الى الشروح التى اوردناها تؤكد أن اللفظ (ديوان) أطلق على الشعر المجموع على سبيل المجاز ثم صار ذلك عرفا اى عادة ، وان هذا الاستعمال اجديد او المستحدث لم يكن ذائعا خلال القرون الثلاثة الاولى ،، حتى اذا اقبل القرن الرابع الهجري ، شاع الاستعمال الجديد وتبنته الاوساط الأدبية، فحل محل التسميات السابقة التى أطلقت على الشعر المجموع ، ثم استعمل بهذا المعنى بعد ذلك لا في العربية فقط بل بالفارسية والتركية [٣٧] وفي الاوردية والكردية ، وربما في لغات شرقية أخرى • ويحتمل أن الفرس قد سبقوا العرب في استعمالها بهذا المعنى لقدم اللفظة في لغتهم • ثم دخلت ديوان عن طريق اللغة التركية الى اللغات الاوربية الحديثة واستعملت فيها بمعنى المجلس والاريكة ولم تستعمل في الشعر [٣٨] •

وكان ترتيب شعر الشاعر في الدواوين حسب حروف القافية من اهم الخطوات التي خطاها الجامعون في القرن الرابع كما ذكرنا ، وأرجح الظن أن الصولى كان اول من اتبعها وجعلها المنهج المفضل في هذا المضمار ، يؤيد هذا

---

(٣٥) تاج العروس ٩/٢٠٤

(٣٦) الخفاجي : شفاء الغليل ٨٢ ـ ٨٣ ط . القاهره ١٣٢٥

(٣٧) الفهرست ٣٨ وقد نسب ابن خلدون جلب الورق الى الفضل ابن يحيى المستشرق الفرنسى كليمان هوار والمقال مختصر قليل الفائدة

(٣٨) انظر قاموس ليتريه ولاروس الفرنسيين وقاموس اوكسفورد الانكليزي والقواميس الالمانية والايطالية مادة Divan

أن ابن النديم يقول : ومما صنفه ابو بكر (الصولى) من اشعار المحدثين على حروف المعجم مسلم بن الوليد وابن الرومى ، ابو تمام ، البحترى .. الخ[٢٩] وقال في موضع آخر عن ابن الرومى : كان شعره على غير الحروف رواه المسيبى ثم عمله الصولى على الحروف[٣٠] وقال عن ابى تمام : لم يزل شعره غير مؤلف ... الى ايام الصولى فانه عمله على الحروف نحو ثلثمائه ورقه وعمله علي بن حمزة الاصفهاني ايضا فجوّد فيه على غير الحروف بل على الانواع[٣١] وقال البحتري كان شعره على غير الحروف الى أيام الصولي ثم عمله الصولي على الحروف [٣٢] ويبدو ان اشتهار الصولي بالتصنيف على هذه الطريقة أدى الى أن ينسبوا اليه دواوين لم يثبت انها كانت من عمله كما ذكر عن ديوان الخبز أرزى[٣٣] احد مخضرمن القرنين الثالث والرابع .

ولم تكن هذه الطريقة متبعه من قبل المعنيين بجمع الشعر وشرحه في القرنين الثاني والثالث ، وكان ابو سعيد السكري كما اشرنا سابقا اكثر العلماء نشاطا في هذا الحقل ، حتى افرد ابن النديم بابا سماه ــ اسماء الشعراء الذين عمل ابو سعيد السكرى اشعارهم . وفي الفتره نفسها وقبيلها كان الاصمعى وابو عمر الشيبانى والطوسى وابن السكيت يشتغلون بجمع الشعر وتصنيفه وشرحه : كان هؤلاء وتلامذتهم وكتابهم ووراقوهم يؤلفون فريقا نشطا يقود حركة جمع الشعر[٣٤] . وكانت طريقتهم تعتمد في الغالب على تصنيف الشعر على الانواع اى حسب اغراض الشعر من مديح وهجاء وحماسة وغزل سواء كان ما يعملونه يخص شاعرا واحدا او كان مختارات من شعراء كثيرين . ولهذا يرى بلاشير أن فضل الجمع المنهجى للنصوص الشعرية والاخبار التاريخية يعود الى العلماء والنحاة واللغويين الذين اعقبوا كبار الرواة ، يقصد بذلك الذين ذكرناهم قبل قليل . ويلاحظ بلاشير « ان الناشرين العصريين اعتادوا ان يضيفوا الى الدواوين التي جمعت في القرون الوسطى قصائد ومقطوعات عثروا عليها صدفة في اثناء مطالعاتهم فتضخمت الدواوين بسرور الزمن . ويستغرب المستشرق كما يفهم من كلامه من ترتيب بعض

---

(٢٩) الفهرست ٢٣٤ ، ٢٤١

(٣٠) نفسه وقد جمعه ايضاً ابو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ فزاد على كل نسخة نحو الف بيت

(٣١) ا لفهرست ٢٤١ وفيات الاعيان ١/٣٣٨

(٣٢) نفسه

(٣٣) نفسه ٢٤٦

(٢٤) بلاشير تاريخ الادب العربي ١٢٣ ــ ١٢٥

الدواوين التى عملها السكرى ومعاصروه على الحروف ويرى انها بعيده عن الرواية الاصلية[٣٥] ،، يعنى بذلك الدواوين التي وصلت الينا كما يفهم بداهة • والواقع أن تضخم دواوين الشعراء ولا سيما دواوين المشهورين الذين تروج اشعارهم من اكبر مشاكل الدواوين الشعرية ، ولا ينحصر ذلك في الشعر الجاهلى بل هو اوسع خطرا في الشعر العباسى ، لوجود شعراء تتفق دواوينهم بين العامه والخاصه كشعراء المجون مثل ابى نواس وابن حجاج وابن سكره وشعراء الزهد والتصوف والمدائح النبوية كأبى العتاهيه والحلاج وابي بكر الشلبي ، ولهذا اصبحت قضية نسبة الشعر الى قائله شديدة الصعوبة ولعلها من اصعب القضايا التي شغلت الباحثين والمؤرخين[٣٦] •

وكانت دفاتر الشعر والمصنفات الاخرى تكتب على الورق الخراساني المصنوع من الكتان • ولم نعرف على وجه التحديد تاريخ ظهور هذا النوع من الورق « فقيل ظهر في ايام بنى اميه وقيل في الدوله العباسيه ، وقيل انه قديم وقيل حديث وقيل ان صناعا من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصينى • وانواعه ستة السليماني ، الطلحي ، النوحي ، الفرعوني ، الجعفري والطاهرى »[٣٧] والظاهر ان دفاتر الشعر ــ الدواوين بعد ذلك ــ كانت تكتب على الورق السليماني ، وقد اشار ابن النديم الى ذلك عرضا حين وصف الورقه السليمانيه في معرض حديثه عن بعض الدواوين كما مر بنا • وكانت اشارته دقيقه حتى انه ذكر عدد الأسطر في كل ورقه •[٣٨] واسماء أصناف الورق المذكورة منسوبه ــ كما يفهم ــ الى من استعملها من الاقوام والاشخاص ، فالفرعوني مصري بلا شك ولهذا قيل إنّ الورق جلب من مصر • ولعل الجعفري منسوب الى جعفر بن يحى البرمكي فقد زعموا ان البرامكه جلبوه في عهد الرشيد ، وربما كان الطاهري نسبه الى آل طاهر ولاة المأمون على خراسان •

وكان القلم المستعمل في الكتابه من نوع يسمى المدور الصغير • قال ابن النديم في معرض كلامه عن انواع الاقلام : « وقلم يقال المدور الكبير

---

(٣٥) نفسه ١٦٢ وانظر عبدالسلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها ٢٥ ــ ٣٤ الطبعة الثانية

(٣٦) علي الزبيدي : في الادب العباسي ٥٨ ــ ٦٤

(٣٧) الفهرست ٣٨ وقد نسب ابن خلدون جلب الورق الى الفضل بن يحيى البرمكي المقدمة ٤٢٢

(٣٨) مرت الاشارة الى الورقه السليمانية في القسم الاول من هذا البحث

ويسميه كتاب هذا الزمان ــ اواسط القرن الرابع ــ الرياسى ، ويخرج منه قلم يقال له المدور الصغير وهو قلم جامع يكتب به في الدفاتر والحديث والأشعار »[٣٩]

وطبيعى ان المؤلفين والوراقين لم يقتصروا على نوع واحد من الاقلام أعنى الخطوط في كتابة مصنفات الشعر والأدب بدليل أن احمد بن عمار الذى ينعته ابن النديم بكاتب شعر المحدثين قد استعمل قلم أنصاف الطلحي في كتابة شعر ابى العتاهيه وأخباره .[٤٠] ولا جدال في أن ازدهار الحياة الفكريه وتزايد الدواوين الرسمية وكتابها وموظفيها ، واتساع حركة البحث والتأليف والتقييد ، وتكاثر الوراقين ورواج عملهم ، واشتداد العنايه بالكتب وخزائنها .. الخ . قد أدى الى تطور الخط العربى وظهور أنواع متعدده منه . وكان الخط القديم واشهره الكوفي هو السائد الى اول الدوله العباسيه[٤١] ثم ظهر نوع جديد هو الخط العراقى المحقق الذى يسمى أيضا الوراقى ، ولم يزل يزيد ويحسن حتى انتهى الأمر الى المامون ، فأخذ اصحابه وكتابه بتجديد خطوطهم ، فتفاخر الناس بذلك ، وظهر رجل يعرف بالأحول المحرر من صنائع البرامكة ، عارف بمعاني الخط وأشكاله،فتكلم على رسومه وقوانينه وجعله أنواعا . وهو الذى كتبت به دفاتر الشعر وغيرها ولم يكن معروفا قبل عهد المأمون ، وقد ذكر ابن النديم ان ذا الرياستين الفضل بن سهل هو الذي اخترعه[٤٢] ولا ريب انه سمي بالرياسى نسبة اليه وان لم يذكر ذلك صاحب الفهرست .

ويعنى هذا الأمر وغيره أن حركة جمع وتقييد الشعر كانت قويه منذ بداية القرن الثالث ثم اشتدت واتسع نطاقها في اثنائه ، واسباب هذا التوسع لم تنحصر في تصاعد الحضاره وازدهار الثقافه رغم تدهور الحاله السياسيه في هذا القرن ، اذ كان الازدهار الحضاري في اوجه ايام الرشيد والمامون قبيل ذلك . وعندي أن الدافع الاول لنشاط حركة تدوين الشعر هو اختفاء شعراء القرن الثاني الكبار والصغار في اواخره وخلال العقود الاولى من المئة الثالثة ، وتراكم الانتاج الضخم الذي تركوه ، وتزايد اهتمام الناس والاوساط الاديبه بمزايا الشعر المولد الجديد من حيث الموضوعات والمعاني والألفاظ ،

---

(٣٩) الفهرست ١٨ وانظر الصولي : ادب الكتاب ٤٩

(٤٠) نفسه ٢٣٣

(٤١) مقدمة ابن خلدون (التجارية) ٤٢٠

(٤٢) الفهرست ٢٣٣

هو كتاب المختار من شعر بشار للخالدين [٤٥] وقد صنف الخالديان كذلك لابي تمام ، البحتري وابن الرومي ومسلم بن الوليد .

٤ ــ واخيرا الدفاتر التى يجمع فيها شعر الشاعر كله او ما يمكن الحصول عليه منه ، فيدرج او يرتب بروح منهجية تحسنت طرائقها بالتدريج ، واشتهر بذلك علماء كالصولي وعلي بن حمزه الاصفهانى وابى بكر الانبارى والمرزبانى وغيرهم وقد أظهروا في عملهم حرصا علميا واضحا ، وهذا النوع هو الذى سمى بالدواوين . وقد تضخم عددها باضافة دواوين بعيدة عن الحرص المنهجى والامانه العلميه ، عملها ادباء غير متمكنين او وراقون لايهتمون بغير الربح . فكان ان تضخمت طائفه من دواوين الشعر بوضع شعر شاعر في ديوان غيره [٤٦] او باغفال او اسقاط قسم من الشعر واضافة اشعار اخرى منحولة او منسوبة خطأ او لإهمال العناية بالنسخ الدقيق ، فكثر الغلط والتصحيف والتحريف .. الخ وكان النشاط في عمل هذا النوع من المصنفات عظيما جدا لكثرة الشعراء في كل العصور، كما كانت خساره تاريخ الادب فادحة لضياع القسم الاكبر من دفاتر الشعر والدواوين بصرف النظر عن زمن عملها . وكان الضياع وما يزال غالبا على دواوين شعراء القرن الثاني العديدين الا انه اغلب وأكثر في شعر القرنين الثالث والرابع .

ونود أن نؤكد بهذه المناسبة ان شعراء المئة الثالثة لم يكونوا قلة كما ظن الدكتور طه حسين [٤٧] لكن أخبارهم قليله، ودواوين اغلبيتهم العظمى مفقودة، لقد وصلت الينا دواوين المشهورين الكبار فقط كابى تمام والبحترى وابن الرومي وابن المعتز وعلي بن الجهم ، ولكن هؤلاء لا يمثلون شعر العصر كله بسائر اتجاهاته ومذاهبه الموضوعيه والشكليه . فشعر المجون الذى خيل لطه حسين أنه مات بموت ابي نواس [٤٨] ، قد اشتدت موجته واتسعت ، وتنوعت

---

(٤٥) نشره محمد بدر الدين العلوي في مصر ١٩٣٤ ويرى الشيخ عبدالعزيز الميمني أن حماسة شعر المحدثين للخالديين هي عين كتاب الاشباه والنظائر الذي طبع مؤخراً على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية انظر مقدمة (المختار) من شعر بشار ص ى

(٤٦) نفسه كان السري الرفاه يدس شعرهما في ديوان كشاجم نكاية به .

(٤٧) طه حسين : من حديث الشعر والنثر

(٤٨) نفسه

فكان ان كثرت دفاتر الشعر كثرة عظيمة واهتم بها الادباء والوراقون والناس اهتماما منقطع النظير • وما كاد القرن الثالث يؤذن بالانتهاء حتى كانت الكتة العربية الادبية غنيّة بما اضيف اليها من دفاتر وكراريس ومصنفات تتألف من عدة انواع هي :

١ ــ دفاتر تضم كل منها شعر شاعر واحد ذكرت فيها القصائد والمقطوعات بلا ترتيب أبجدي بل حسب الاغراض • وقام الجامع بشرحها أو تركها بلا شروح •

٢ ــ مجموعات شعرية مختلفة تحتوى كل منها على نخبه من القصائد والمقطوعات لعدد من الشعراء • ومن اقدمها كتب القبائل التي جمعها رواة الشعر الجاهلي ، ويقرب من هذا الصنف مجاميع المعلقات ثم النقائض • ثم ظهرت غايات اخرى للجمع والاختيار تمثلت في المفضليات والاصمعيات وحماسة ابى تمام : حتى اذا توسط القرن الثالث وزاد الاهتمام بالشعر المولد ظهرت مجموعات عامة أخرى مثل كتاب الروضة للمبرد واختيار شعر المحدثين لابن المعتز والباهر في اشعار المحدثين ومحاسن شعر المحدثين لجعفر بن محمد بن حمدان الموصلى وقد عارض بالكتاب الاول كتاب الروضه للمبرد (٢٤٠ ــ ٣٢٢ هـ)[٤٣] وتوالى التاليف في هذا النوع من المجموعات خلال القرن الرابع والخامس وبعدهما فألف الخالد بان عددا من كتب الاختيار او المختارات الشعرية منها حماسة شعر المحدثين[٤٤] وجمع ابن الحاجب النعمان اشعار الكتاب وقام محمد بن عمران المرزباني بتاليف كتب كثيرة كانت طائفة منها تخص الشعراء المحدثين على طبقاتهم ، وكان حسن الترتيب لما يجمعه كما يقول الخطيب البغدادى •

٣ ــ دفاتر شعر خاصة تضم مختارات من شاعر واحد، وقد عنى بهذا الصنف كثيرون من ابرزهم أحمد بن ابى ظاهر (ت ٢٨٠) فاختار لابراهيم بن هرمة وابن الدمينه وابى العتاهيه ومروان بن ابى حفصة ، وابن ميادة ومنصور النمري والعتابى ، ومنها شعر ابن الرومى لابن عمار الثقفى • وقد وصل الينا نموذج من هذا النوع

---

(٤٣) الفهرست ٢١٩ ومعجم الادباء (الاوربيه) ٢/٤١٩ ــ ٤٢٤ وهو شاعر ايضاً وقد ذكر ياقوت ترجمته واخباره ومختارات من شعره .

(٤٤) الفهرست ٢٤٧ ومعجم الادباء ٤\٢٣٧

مذاهبه وتعددت ، حتى اختص شعراء بموضوعات معينه عرفوا بها ، فبعضهم غلب على شعره المجون المكشوف كأبى حكيمه راشد بن اسحاق الذى أفنى شعره في رثاء متاعه (عضوه التناسلى)فجاء بما لم يجيء أحد بمثله كما قال ابن المعتز[٤٩] وكان شعره او ديوانه سبعين ورقة ولم يقف له باقوت على شعر خال من الفحش والمجون كما يقول سوى ثلاثة أبيات[٥٠] وجحشويه الذي وصف بأنه من المجيدين المشهورين ، وكان من الوطء الناس ، ينسب الى البغاء ويتملح بذلك في شعره[٥١] وعبدالصمد بن المعذل الذى عاش في النصف الاول من القرن الثالث وهجا ابا تمام وكان شاعرا ماجنا خليعا وهجاءً فاحش اللسان[٥٢] وشعره او ديوانه مئه وخمسون ورقه[٥٣] واسماعيل بن يوسف البصرى الذي تولع بوصف الخمر والمجون وكان من الخلعاء بجمع حوله عصبة من المجان نذكرنا بمجان القرن الثاني من حلقة ابى نواس[٥٤] والفضل بن هاشم بن جدير البصري السفيه الخليع الفاسق وهو القائل :

أنا فضل بن هاشم بن جدير لم أقل مُذْ خلقت كلمة خير

وله أشعار في الاقذار يصف نفسه بشهوتها ، وهو أول من سمع عنه ذكر ذلك[٥٥] ولهذا الخبر اهميه كبيرة لان مؤرخى الأدب يعتقدون ان شعر الاقذار ظهر في القرن الرابع عند ابن الحجاج واضرابه • ومنهم مصعب بن الحسين البصرى المعروف بمصعب الماجن وقد استفرغ شعره في وصف الغلمان [٥٦] واختص شعراء بموضوعات ماجنه خفيفة أبعد عن الفحش واقرب الى الفكاهة والحماقة والهزل كالحمدوني الذي كاد يقصر شعره على وصف طيلسان خلق أهداه اليه ابن حرب،حتى عرف بناعت الطيلسان[٥٧] وابي العنبس الصيمري وكان ذا حظوة عند الخليفة المتوكل يتسلى بنوادره

---

(٤٩) طبقات الشعراء المحدثين ٣٨١ ــ ٣٩١

(٥٠) الفهرست ٢٤٣ومعجم الادباء (الاوربيه) ٢٠٣/٤ ونوات الوفيات ٣٢٠/١

(٥١) طبقات ابن المعتز ٣٨٨

(٥٢) انظر : عبدالصمد المعذل : لزهير غازي زاهد نال بها شهادة الماجستير من جامعة بغداد سنة ١٩٦٧ وقد الحق بها مجموع شعره

(٥٣) الفهرست ٢٤٠

(٥٤) طبقات ابن المعتز ٣٣٩

(٥٥) الورقه لابن الجراح ١٢٠ ــ ١٢٢ (طبعه دار المعارف)

(٥٦) معجم الشعراء ٣٢٨

(٥٧) طبقات ابن المعتز ٣٧١ وفوات الوفيات ٢٤\١

ويضحك منه أو عليه • ويذكرنا هذا بما كان يفعله ابو دلامه الشاعر المهرج لتسلية المنصور • وقد اشتهر الصيمري بمداعبة البحتري مداعبات ثقيلة وبمعارضته لقصيدة ميميه انشدها المتوكل بأبيات هزلية وقحة جعلت الخليفة وحاشيته يغرقون في الضحك[٥٨] ومن هذا الطراز الفكاهى من شعراء القرن الثالث أحمد بن محمد الهاشمى المشهور بأبى العبر[٥٩] وابو العجل الذى كان ينحو منحي ابى العبر ويتحامق كثيرا في شعره[٦٠] ... الخ وسواء كان انتاج هؤلاء وامثالهم قليلا أم كثيرا،فانهم يمثلون منحى شعريا فكاهيا واضح المعالم• وهذا الاتجاه ، وان لم يكن جديدا او مستحدثا لوجود طلائعه في القرن الثانى في أشعار ابى الشمقمق وابى دلامه الا انه اتخذ صورا اكثر اتساعا في القرن الثالث •

وهناك شعراء اشتهروا بالانذاع في الهجاء مع مزجه بالمجون والفكاهة الفاحشه كمنصور الاصبهانى « وكان من المجيدين للهجو بل كان أهجى الناس[٦١] » وخالد النجار « وكان شاعرا متقدما ، الا انه كان خبيث اللسان ، سريعا الى أعراض الناس ، وشعره في غير هذا المعنى قليل[٦٢] » •

ووجدنا في القرن الثالث صنفا غريبا آخر من الشعراء المجانين او المتظاهرين بالجنون ، ولم يكن جنون هؤلاء خيال حب بل كان في الغالب لوثة تأمل او تكلف، مزوج بمواقف سلبية ساخرة من الحياة والناس • كانوا اذن من عقلاء المجانين او مجانين العقلاء ! وأشهر من ذكر منهم ماني المجنون ، وجعيفران الموسوس ومصعب الموسوس وابو حيان الموسوس واحمد بن عبدالسلام[٦٣] وقد عقب ابن المعتز عليهم بقوله « وهكذاهؤلاء الشعراء الذين خولطوا بعد قولهم الشعر ، يوجد في كلامهم تفاوت كثير شديد ، فاذا جاءوا الى الشعر مروا على رؤوسهم ورسمهم قبل ان يوسوسوا »[٦٤] وكان ابو العبر الذي مر ذكره معدودافيهم ايضا•ويمثل شعراولئك ظاهرة ادبية واجتماعية

---

(٥٨) المسعودي : مروج الذهب (المطبعة التجارية ط الثانية) ٤\٩١-٩٣ ومعجم الشعراء ٣٩٣

(٥٩) طبقات ابن المعتز ٣٤٢ والفهرست ٢٢٣ والاغاني (دار الثقافة) ٢٣/٧٦ - ٨٨

(٦٠) طبقات ابن المعتز ٣٤١

(٦١) نفسه - ٣٥٤

(٦٢) نفسه ٣٢٤

(٦٣) طبقات ابن المعتز ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٠٦

(٦٤) نفسه

جديرة بالاهتمام والدرس لانها تعكس جانبا من مساؤى ذلك العصر المزدحم بالانقلابات السياسيه العنيفه والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسيه ، وبالخلافات المذهبية والدينية والفنية . وغالبا ما ينتج عن وضع كهذا أن يبرز في الوسط الادبى أناس يدفعهم التألم والتامل والفكر الى مواقف سلبيه يغلفها الخوف او التقية او اليأس او التظاهر بالجنون أو الوقوع فيه حقيقة . كما يظهر ايضا اناس ينحدرون الى التفسخ والانحلال والاغراق في الفسق والفجور وادمان الخمر ، أو التشرد والهروب واللحاق باهل الكدية والضرب واياهم في الآفاق او غير هذا وذاك من مختلف المواقف السلبية المتطرفة او غير المتطرفة .

ولعل من نتائج هذه الاوضاع ان شعر الزهد والوعظ والحكمة الذي ظهر كفن واسع متجدد في القرن الثانى قد استمر في القرن الثالث ، فاشتهر به كثيرون ، كمحمود الوراق الذى عاش في اوائله (ت ٢٣٠ هـ) ، ومع انه نظم في الغزل الا ان شعر الزهد والوعظ والحكمه غالب عليه « وشعر محمود كثير واكثره امثال وحكم ومواعظ وأدب ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبدالقدوس وسابق البربرى »[٦٥] وفي العقد الفريد مختارات كثيره من شعره والمرجح أن ديوانه كان عن ابن عبدربه[٦٦] ومن هذا الصنف عتاهيه ابن الشاعر ابى العتاهية وكان «صحيح الدين ورعا ، ولى القضاء برهة ، وكان محمود السيرة ، حسن الصنعة ، جمع مع الشعر الفقه »[٦٧] والواقع ان الفقهاء لهم انتاج وافر من شعر الزهد والوعظ وكان أشهرهم في ذلك الشافعي المتوفي في بداية القرن الثالث ، وقد نشر ديوانه مؤخرا زهدي يكن [٦٨] ومنهم محمد بن عبدالله ابو بكر الشاعر المعروف بابن الخبازة « وله شعر كثير في الزهد والرقائق والتذكير بالموت والمواعظ وكان عاصر احمد بن حنبل ورثاه حين مات »[٦٩] ومن الشعراء من غلب عليه الشعر المذهبى وان زاول النظم في الاغراض الاخرى ، واشهر هؤلاء في هذا القرن العطوي محمد بن عبدالرحمن

---

(٦٥) نفسه

(٦٦) العقد الفريد ، انظر فهرست الاعلام ج ٧ طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٦٧) طبقات ابن المعتز ٣٦٤ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٧٧ والفهرست ٢٣٦

(٦٨) ديوان الشافعي ـ جمعه وحققه زهدي يكن ، بيروت ، دار الثقافه ١٩٦٢

(٦٩) تاريخ بغداد للخطيب ٥/٤٢٥

وكان معتزليا ومن حذاق المتكلمين يذهب مذهب الحسين النجار في خلق الافعال وهو مع ذلك شاعر مطبوع[٧٠] وديوانه مائة ورقة كما قال ابن النديم[٧١] وقد ذكره ايضا في باب اخبار متكلمي المجبرة ونسب اليه تاليف كتاب خلق الأفعال وكتاب الادراك[٧٢] وقال عنه الخطيب ابغدادى : وشعره يستحسن وللمبرد منه اختيارات ، وقد روى عنه بعض شعره أحمد بن القاسم اخو أبي الليث الفراضى وغيره»[٧٣] • ومن شعراء الزهد والحكمة والمذاهب موسى بن عبيدالله بنى يحيى بن خاقان (٢٤٨ ــ ٣٢٥ هـ) وكان مذهبهمذهب الحشويه وحب معاويه بن ابى سفيان قد غلب عليه حتى قال فيه اشعارا كثيره فدوّنتها العامة وهو القائل[٧٤] :

الشعر لى أدب أسلو بحكمته وما سبيلى فيه المادح الهاجى

ومحمد بن دكين المتكلم وكانت له أشعار يحض فيها على القول بالعدل والتوحيدومحمد بن عمران الحلبي[٧٥] وشعراء اخرون لا مجال لذكرهم هنا•

وفي هذا العصر تحول هذا النوع من الأدب الدينى والاخلاقى نثرا كان او شعرا من موضوعاته التقليديه كذم الدنيا وذكر الموت والعقاب والثواب والتغني بالفضائل الدينية الى موضوعات التصوف واساليبه • وكان هذا التطور الجديد سريعا لأسباب وعوامل يطول شرحها • واذا كانت المصادر الاديبه والمصادر الصوفيه الواصله النبا فقيرة بالمعلومات المفصله عن الشعر الصوفي في القرن الثالث وعن تراجم شعرائه الا أنها اوردت اشعارا متفرقةلمتصوفة هذا العصر كالجنيد واستاذه أبي بكر بن مسلم[٧٦] وسمنون بن حمزة المحب البصري[٧٧] وطاهر المقدسى[٧٨] واحمد النوري وهو معاصر للجنيد[٧٩] •

---

(٧٠) طبقات ابن المعتز ٣٩٥ : وتاريخ بغداد ١٣٧/٣ ومعجم الشعراء ٣٧٧

(٧١) الفهرست ٢٧٠.

(٧٢) نفسه ٢٧٠.

(٧٣) تاريخ بغداد ١٣٧\٣

(٧٤) معجم الشعراء ٢٩٠ ــ ٢٩١

(٧٥) نفسه ٤٠٧ ــ ٤٠٨ ــ ٤٢٤

(٧٦) ابو نعيم : حلية الاولياء ٢٥٥\١٠ ــ ٢٨٧ و ٣٠٩\١٠

(٧٧) نفسه ٣١٠\١٠ ولسمنون شعر صوفي جيد انظر : طبقات الصوفية للسلمى ١٩٥

(٧٨) وهو شامي من اصحاب ذي النون المصري الصوفي ، حلية الاولياء ٣١٠/١٠

(٧٩) حلية الاولياء ٢٤٩/١٠

ومحمد بن سعيد القرشي وسعيد الشهيد وهو شخصية طريفة جدا اذ كان يمزح الفروسية بالتصوف[٨٠] وسعدون المجنون من اهل البصرة وكنيته ابو عطاء وكان من المحبين لله عز وجل[٨١] ولعل اقوى دليل على نضوج شعر التصوف وتبلور موضوعاته العقائديه ومذاهب الفنيه في القرن الثالث ظهور شاعرين كبيرين في الربع الاخير منه وصل شعرهما الى أعلى المستويات الصوفية هما الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ) الذي درسه ماسنيون دراسة واسعة قيمة ونشر ديوانه ، وابو بكر الشبلي (ت ٣٢٤ هـ) الذى نشر ديوانه وحققه الدكتور كامل مصطفى الشيبى • ويفهم من المختارات الكثيرة من الشعر الصوفي التي وردت في الرسالة القشيرية او في طبقات الصوفية للسلمي وحلية الاولياء وقوت القلوب وغيرها من اقدم المصنفات الصوفية المتوفره لدينا ، أن هذا النوع من الشعر كان كثيرا في القرن الثالث • وقد اورد آدم ميتز خبرا عن الخلدي احد كبار المتصوفة واوائل مؤلفيهم يزعم أنه اى الخلدى (ت ٣٤٨ هـ) كان يفتخر بحفظ اكثر من مائه ديوان من دواوين الصوفيه[٨٢] ومع أننا نتحفظ في تناول هذا الخبر لما فيه من مبالغه ولاحتمال استعمال كلمه ديوان لعموم المصنفات ، الا أن ثبوت ظهور التصوف وتكامل آدابه وتكاثر رجاله خلال النصف الثانى من هذا القرن يدل على وجود شعر صوفي غزير سجل في دواوين خاصة كثيرة ، ولكن هذه الدواوين ضاعت مع ما ضاع من مصنفات وخلقت لنا مصاعب دراسة نشأة وتطور هذا الاتجاه الشعري الجديد وعقدت القيام بعملية المسح اللازمة لكتابة تاريخ شامل دقيق لهذه المرحلة المهمة في حياة الشعر الصوفي[٨٣] وما قلناه عن شعر المجون والفكاهة وشعر التصوف ينطبق على شعر الكتاب الذين قرض شعرهم الجاحظ وابن رشيق الذي قال في « باب في اشعار الكتاب » والكتاب ارق الناس في الشعر طبعاً واملحهم تصنيفا ، وأحلاهم ألفاظا ، والطفهم معاني ، واقدرهم على تصرف ، وابعدهم من تكلف • وكان شعراء الكتاب كثيرين في هذا القرن

---

(٨٠) نفسه ١٠/١٦٥

(٨١) الوافي بالوفيات ١\٢٤٣

(٨٢) آدم متز الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ٢٣ وينقل عن ابي المحاسن في النجوم الزاهرة ٢/٢٩٢ (طبعة لايدن)

(٨٢) آدم متز الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ٢٣ وينقل عن ابي المحاسن الصوفي .

(٨٤) العمدة : ٢/١٠٦ ــ ١٠٩

وقد ذكر ابن النديم نقلا عن الحاجب النعمان اسماء عدد كبير منهم واشار الى دواوينهم ومن أشهرهم في القرن الثالث احمد بن ابى فنن والحسن بن وهب وابن الزيات ويحى بن على المنجم وابراهيم الصولىوخالد بن يزيد الكاتب وابراهيم بن المدبر • وقد صنف الصولي ديواني ابراهيم الصولي وخالد بن يزيد الكاتب ومنهم ايضا احمد بن يوسف وديوانه خمسون ورقة وحماد بن نجاح مائة ورقه واحمد بن المدبر خمسون ورقه واحمد بن يحى البلاذرى خمسون ورق • ويطول بنا الكلام اذا درجنا اسماءهم وعدد اوراق دواوينهم الكثيره[٨٥] وفي المجمع العلمى العراقى مخطوطة لديوان خالد بن يزيد الكاتب (ت ٢٧٠ هـ)[٨٦] وهؤلاء الشعراء يؤلفون مدرسة شعرية تمتاز بخصائص تلفت النظر لشدة تأثير ثقافات العصر العقلية في موضوعات شعرهم ومعانيه ، وانعكاس فنون الكتابة فيه ولا سيما التأنق في التعبير ، والتفنن في استعمال الالفاظ العلمية واقتباس الصور الشعرية من بيئة الكتاب الخاصة •

وشهد القرن الثالث ، زيادة على ما ذكرناه ، نشاطا شعريا نسائيا أثار اهتمام المصنفين القدماء من اهل الأدب والتراجم والاخبار والقصص ، وقد أشار ابن النديم الى دواوين أشهرهن ، الا أن الفهرست جاء مضطربا فلم تتضح من اسماء اللاتي ذكرهن شعرا سوى فضل الشاعرة (ت ٢٦٠ هـ) وبتألف ديوانهامن عشرين ورقة[٨٧] وذكر عبدالله بن المعتز من الشاعراتسكن جاريةمحمود الوّراق وحبيبته (ت٢٣٠)[٨٨] ، وعائشه النيمورية ، وكانتهذه شاعرة وفارسة باسلة تسكن مكة ، وقد قاتلت مع الطالبيين[٨٩] وتذكرنا شخصيتها التى تبدو غريبه بالقياس الى شواعر العصر بالشخصيات النسويه الشعريه الحره في الجاهليه والاسلام • ومن الشواعر خنساء جارية هشام المكفوف ، وكانت جليله نبيله ، شاعره حسنة العقل ، فائقة الجمال ، وقد

---

(٨٥) الفهرست : ٢٤٢ ــ ٢٤٣

(٨٦) انظر عن خالد بن يزيد ، طبقات ابن المعتز ٤٠٥ والاغاني (ساسي) ٣١/١١ وتاريخ بغداد للخطيب ٣٠٨/٨ ومعجم الادباء (المأمون) ٣٠٨/١١ وفوات الوفيات ٢٩٦/١

(٨٧) الفهرست ٢٣٩ وانظر اخبارها واشعارها في : طبقات ابن المعتز ٤٢٦ والاغاني (دار الثقافة) ٢٥٧/١٩ وفوات الوفيات ٢٥٣/٢ والمستظرف من اخبار الجواري للسيوطي ٥٠ ــ ٥٦ (نشر صلاح الدين المنجد)

(٨٨) طبقات ابن المعتز ٤٢٢ والمستظرف ٣٢

(٨٩) طبقات المعتز ٤٢٣

نازعت الشعراء ومدحت الخلفاء[٩٠] ومنهن محبوبة جارية المتوكل الشهيره التى تناقلت كتب الادب والتاريخ حبها ووفاءها للمتوكل في حياته وبعد مقتله[٩١] وشعر هاتيك النساء يتميز بسهولة اللفظ وخفة الاسلوب وملائمته للغناء والايقاع وبانوثة العواطف والافكار وبتصويره لطراز الحياة التي كن يحيينها في القصور • والحق ان الأدب النسوى النثرى والشعرى كان غزيرا في الأعصر العباسيه المتقدمه والمتأخرة الا انه ما يزال ينتظر من يستخرجه من مظانه ويدرسه دراسه جيده •

لقد خلف ضياع شعر هذه الاصناف من الشعراء والشواعر نواقص وثغرات واسعة في تاريخ الشعر في القرن الثالث • أما كبار شعراء العصر ، كأبى تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز ، فقد حجبوا الشعراء العديدين الآخرين الذين كانت لهم أشعار بمستوات فنية متفاوتة يمكن تصنيفها في طبقات متتالية تتدرج الى الطبقة الاولى وتليها في المنازل الشعرية الأدنى • صحيح أن الكبار قد أخملوا الكثيرين من شعراء عصرهم كما قال ابن رشيق والجرجاني وغيرهما ، الا ان الاوساط المعنية بتدوين الشعر قد سجلت دفاتر شعرهم او دواوينهم وتداولتها الاجيال التالية بعد ذلك • ولكن تلك الدواوين ضاعت ولم يبق منها سوى مختارات قليلة ذكرتها المصادر المبكرة والمتأخرة بشيء غير قليل من التصحيف والخلط في النسبة • ومن أشهر شعراء العصر المعدودين علي بن جبلة العكوك ، ومحمد بن ابي عيينه المعروف بأبي عيينه وقد عده الجاحظ من المطبوعين الاربعة الكبار ، والمعلى الطائي وابن ابي زرعة ، وابن عائشة القرشي ، وعلي وعبدالله ابنا ابي أمية ، ويزيد المهلبي ، وعلي بن محمد العلوي ، ومنصور الاصبهاني ، وابن العلاف النهرواني صاحب القصيدة المشهورة في رثاء الهر ، ومحمد بن وهب ، وابو العباس الناشيء الاكبر ، وعلي بن العباس النوبختي ، واحمد بن عبدالله النوبختي ، وجعفر بن قدامة ، والمفجع البصري ، وجحظة البرمكي ، وعلي بن محمد بن نصر المعروف بابن بسام ، والخبزأرزي ، والحمدوني وابو العباس الانباري وآخرون كثيرون يطول البحث لو ذكرنا اسماءهم ودواوينهم • ويمكن لمن يرغب في التوسع ان يراجع الفهرست وكشف الظنون ومصادر الادب والتراجم ليلمس ما ترك ضياع هذه الثروة الكبيرة من الشعر من فجوات

---

(٩٠) نفسه ٤٢٥

(٩١) المستطرف ٦٣ ومروج الذهب للمسعودي (المصرية الثانية)٤/١٢٥

لا تملؤها الدراسات المتكررة عن كبار شعراء القرن الثالث ولا يغنى عنها المضى في تسويد الصفحات بالكلام المعاد عن الاحوال السياسية والاجتماعية واللجوء الى الاسلوب الانشائي لسد الفراغ التاريخي بالحديث عن مواهب العصر الفنية وفنون الصناعة اللفظية والمعنوية متكئين على تحليل عدد صغير من القصائدلكبار شعراء العصر • وعلى هذا النحو يصبح تاريخ الشعر العربي في القرن الثالث وقفاً على ابي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز • ان تطور طرق البحث الادبي التاريخي يحتم علينا القيام بدراسات واسعة شاملة ، عادلة دقيقة ، تتناول طبقات الشعراء العليا والدنيا وتعنى بانتاج الثانوين والمهملين والمغمورين • والا فستبقى الصورة التي رسمها تاريخ الشعر ناقصة ، مفتقرة الى كثير من عناصر التاريخ الادبي الصحيح ، مثقلة بالاحكام المتعجلة والتعميمات المطلقة التي تضعف او تنهار امام البحث الاكاديمي الحديث •

* * *

هذا ما يمكن استخلاصه بعجالة عن حياة الشعر وحالة دواوينه في القرن الثالث الهجري • وأحسب ان الصورة التي رسمناها بعد هذا الاستقصاء كافية لتوضيح ما يعتور تاريخ ادب العصر من نقص واضطراب وتخلخل •

أما القرن الرابع الهجري فلم يكن أوفر حظاً في هذه الناحية • فاذا قيل ان يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للباخرزي ومصادر الادب والنقد قد نقلت الينا مادة خبرية وشعرية كثيرة عن ادب القرن الرابع ، كان جوابنا ان المادة المنقولة الينا من ادب وشعر القرن الثالث ليست اقل غزارة عن مادة القرن التالي لكن ما وصل من شعر كلا القرنين قليل جداً بالقياس الى ما كان ، وان كتابة تاريخ شامل موسع لشعر القرن الرابع ما زال امراً بعيد المنال • لقد ذكرنا في بداية هذا البحث تسعة من دواوين شعراء القرن الرابع وكان ذلك على سبيل المثال ليس غير •فالشعراء كانوا مئات وربما تجاوز عددهم الالف • أما المجيدون المبرزون فعشرات ، فمنهم من عرف واشتهر في بغداد والعراق ومنهم من سطع نجمه وسبق غيره في حلب ودمشق ، ومنهم من غلب على الشعر في الاقاليم الاخرى كاصبهان وهمدان وبخاري في المشرق ومصر والقيروان وفاس وتطوان في المغرب الاقصى • وحتى وقت تأليف كتاب الفهرست أي في حدود ٣٧٧ هـ كانت دواوين شعراء عصره التي

اطلع علها وذكرها في ص ٣٤٧ تحت عنوان « اسماء جماعة من الشعراء المحدثين ممن ليس بكاتب بعد الثلثمائة الى عصرنا هذا » نيفاً وثلاثين ديواناً هي :

١ ــ ديوان مدرك بن محمد الشيباني ٢٠٠ ورقة
٢ ــ ديوان أبى بكر بن العلاني ٤٠٠ ورقة عمل شعره بعض اهله
٣ ــ ديوان أبى طاهر سندوك بن حبيبة الواسطي ٥٠٠ ورقة
٤ ــ ديوان أبى بكر النجيبي ١٠٠ ورقة
٥ ــ ديوان القراطيسي ٣٠٠ ورقة هو غير اسماعيل القراطيسي صاحب ابي نواس .
٦ ــ ديوان السلامي من أهل البطيحة دون ٢٠٠ ورقة هو غير السلامي البغدادي .
٧ ــ ديوان ابى الحسن العبدوسى ٢٠٠ ورقة
٨ ــ ديوان ابى جعفر نصر بن محمد بن جهان الموصلي الفقيه ٢٠٠ ورقة
٩ ــ ديوان ابى الحسن محمد السلامي ٥٠٠ ورقة
١٠ ــ ابو جلباب ابو جعفر الضرير واسمه ٢٠٠ ورقة .
١١ ــ الاسكافي واسمه ٢٠٠ ورقة
١٢ ــ محمد بن الصنوبري بو بكر من اهل انطاكية ٢٠٠ ورقة
١٣ ــ كشاجم ولد السندي بن شاهك ١٠٠ ورقة
١٤ ــ المغني المصري واسمه محمد بن سلمى الشعباني وله قصيدة الدلالة دون ٢٠٠ ورقة .
١٥ ــ البديهي من اهل انطاكية واسمه احمد بن محمد ١٠٠ ورقة
١٦ ــ ابو المعتصم الانطاكي واسمه ٣٠٠ ورقة
١٧ ــ ابن ابي زرعة الدمشقي نحو ٣٥٠ ورقة
١٨ ــ الببغاء ابو الفرج عبدالواحد بن نصر الشامي مطبوع الشعر ٣٠٠ ورقة .
١٩ ــ الخبز ارزي نصر بن احمد من شعراء البصرة ٣٠٠ ورقة
٢٠ ــ ابو الطيب المتنبي
٢١ ــ ابو العباس النامي ١٥٠ ورقة
٢٢ ــ ابو منصور بن ابي براك استاذ السري الرفاء ، شاعر مشهور ٢٠٠ ورقة .

٢٣ ــ ابو نصر بن ثباته نحو ٤٠٠ ورقة
٢٤ ــ ابن الزمكون موصلي جيد الشعر هجاء غواص على المعاني ٣٠٠ ورقة .
٢٥ ــ الخباز البلدي وكان مشهوراً عمل شعره الخالديان نحو ٣٠٠ ورقة .
٢٦ ــ الشيظمي واسمه نحو ٥٠٠ ورقة
٢٧ ــ الخالديان عمل احدهما شعرهما ، لم يذكر عدد الاوراق
٢٨ ــ السري الرفاء عمل شعره قبل موته نحو ٣٠٠ ورقة
٢٩ ــ ابو الحسن بن النمح واسمه نحو ٥٠٠ ورقه
٣٠ ــ ابو الحسن علي بن محمد التميمي من اهل بغداد نحو ٥٠٠ ورقة
٣١ ــ ابو الجود الرستمي او الرستمي واسمه محمد بن احمد نحو ١٠٠ ورقة .
٣٢ ــ ابو مسكين البردعي نحو ١٠٠ ورقة
٣٣ ــ الخليع الرقي شاعر مجود وشعره معمول نحو ٣٠٠ ورقة .

وطبيعي ان صاحب الفهرست وهو من ابناء القرن الرابع لا يمكن ان يحيط بكل الدواوين فاكثرها لم يكن قد عمل وظهر بين الناس وعدد غير قليل من الذين ذكر شعرهم كانوا احياء يرزقون حتى زمن تأليف الفهرست . لقد تقدم أحد طلبة الدراسات العربية العليا للقيام بدراسة جديدة عن شعر القرن الرابع وهو السيد عبدالصاحب الوائلي[٩٢] فقام باحصاء عدد شعراء اليتيمة الذين يذكر لهم الثعالبي دواوين او مجموعات من الشعر المسجل فوجد انهم في حدود المئة والثمانين . ولا شك في ان العدد سيزيد ان فحصنا المراجع الاخرى أو اكتشفنا طائفة من المصادر الضائعة . واود ان اذكرهنا اننا لانبغي القيام بعملية حسابية فالشعراء كثيرون في جميع العصور . وقديماً قال ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء « ولعلك تظن ــ رحمك الله ــ أنه يجب على من ألف مثل كتابنا هذا الا يدع شاعرا قديما ولا حديثا الا ذكره ودلك عليه ، وتقدر ان يكون الشعراء بمنزلة رواة الحديث والاخبار ، والملوك والاشراف الذين يبلغهم الاحصاء ويجمعهم العدد . والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام ، اكثر من ان يحيط بهم محيط ، او يقف من وراء عددهم واقف ، ولو انفد عمره في التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده في

(٩٢) يقوم السيد عبد الصاحب الوائلي باعداد رسالة ماجستير بعنوان اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع .

البحث والسؤال . ولا أحسب احدا من علمائنا استغرق شعر قبيله حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر الا عرفه ، ولا قصيدة الا رواها »[٩٣] ثم يورد ابن قتيبه بعض الاخبار التى تؤيد صحة ما يذهب اليه ٩

وكلام ابن قتيبه صحيح منطبق على الشعراء في عصره وما بعد ذلك الى يومنا هذا . ونحن لا ندعو الى القيام باحصاء لا يمكن القيام به ، وليس فيه كبير عناء ، انما نريد أن نقرر أن الشعراء الذين كان لهم شأن مذكور ، وشعر سائر ودواوين مدونه ، والذين يمثلون اتجاهات ومذاهب شعريه جديره بالدراسة هؤلاء المتفوقون انفسهم ندرت اخبارهم وضاعت دواوينهم وطمست معالمهم مع أن ادباء عصرهم قد انشغلوا بهم وعنوا بتدوين اخبارهم واشعارهم واجدين في ذلك بلا شك ضرورة علمية وواجباً تاريخياً . فما بالنا نحن اذن نتقاعس عن البحث بل عن التنبيه الى ما ينجم عن ضياع كهذا من مصاعب وعقبات تعترض اعادة كتابة تاريخنا الادبي ، نريد ان نلفت النظر الى أن القناعة بما وصل الينا من شعر قليل خطره لانها تجعلنا نظن أن ما قمنا به من بحوث كافية او قريبة من الكمال ! وأين هذا الكمال ونحن لم نقم بجزء يسير مما قام به ابن قتيبة وعلماء عصره .

أين هذا الكمال وشعراء القرن الرابع الذين وجد مؤرخو عصرهم انهم جديرون بالدراسة قد ضاعت دواوينهم العديدة ولم يصل منها سوى عدد لا يتجاوز الاربعين ؟ بما في ذلك المطبوع والمخطوط ؟ هذا فضلا عن ان ما وصل لا يخص شعراء العراق وحدهم بل شعراء اقاليم الخلافة الاسلامية المترامية الاطراف .

لقد ذكرنا في القسم الاول دواوين المتنبي وابي فراس الحمداني وكشاجم والسري الرفاء والواواء الدمشقي والشريف الرضى ومهيار الديلمي والصنوبري وابي القاسم بن طباطبا العلوي . اما ديوان كشاجم فطبعته قديمة رديئة حافلة بالنواقص والاخطاء ، وقد ظهرت في بيروت عام ١٣١٣ هـ . وتشتغل السيدة خيرية محفوظ الآن بتحقيق الديوان على بضع نسخ مخطوطة حصلت عليها من خزائن الكتب . وقد اخبرني الزميل الدكتور حسين محفوظ أنها اتمت العمل وان وزارة الثقافة والارشاد العراقية ستقوم بطبع الديوان في سلسلة ـ التراث ـ

اما بقية دواوين القرن الرابع ـ ولنقل العصر العباسي الثالث اذ لا

---

(٩٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ، المقدمة ١/٦٠ ـ ٦٢ تحقيق احمد محمد شاكر

يمكن التقيد ببداية القرون ونهايتها في بحوث كهذه ـ فنذكرها على الوجه الآتي :

١ ـ ديوان الحلاج طبعه ماسينون المجلة الآسيوية ١٩٣١

٢ ـ ديوان ابي بكر الشبلي • جمعه وحققه كامل مصطفى الشبيبي بغداد ١٩٦٧ •

٣ ـ ديوان الشريف المرتضى تحقيق رشيد الصفار في ثلاثة اجزاء مصر ١٩٥٨ •

٤ ـ ديوان البيغاء سمعت ان الدكتور سامي الدهان يعني بنشره في هذه الآونة •

٥ ـ ديوان التهامي طبع مرتين الاسكندرية ١٨٩٣م وفي دمشق ١٩٦٤

٦ ـ ديوان ابن هاني طبع في القاهرة ١٢٧٦ وفي بيروت ١٨٨٦ ثم اعيد طبعة (دار الصياد) ١٩٦٤ •

٧ ـ ديوان ابن دريد نشر بدر الدين العلوي

٨ ـ ديوان الصاحب بن عباد جمع وتحقيق محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٦٥ •

٩ ـ ديوان بديع الزمان الهمداني نشره عبدالوهاب رضوان مصر ١٩٠٣ •

١٠ ـ ديوان الفيلسوف ابن سينا جمعه حسين محفوظ طبع طهران ١٩٥٧ •

١١ ـ ديوان الخوارزمي طبع في القاهرة ١٩٠٣

١٢ ـ ديوان تميم بن المعز الفاطمي طبع في مصر ١٩٥٧

١٣ ـ ديوان ابن وكيع التنيسي نشره حسين نصار في مصر بلا تاريخ

١٤ ـ ديوان ابن دراج القسطلي (٤٢١) نشره محمود علي مكي دمشق ١٩٦١ •

١٥ ـ ديوان ابن شهيد الاندلسى (ت ٤٢٦) نشرة شارل بلا وطبع في بيروت ١٩٦٣ •

١٦ ـ ديوان ابراهيم بن سعود الاندلسى نشره غرسيه جوميز

١٧ ـ دواوين ابي العلاء المعري الثلاثة معروفة

١٨ ـ شعر جحظة البرمكي جمعه مزهر السوداني مع رسالة ماجستير قدمها لجامعة بغداد ١٩٦٨ •

١٩ ــ ديوان علي بن الحسين بن حيدر العقيلي نشره زكي المحاسني طبع دار الكتب المصرية بلا تاريخ .

٢٠ ــ ديوان الرسي احمد بن محمد (ت ٣٤٥) طبع في صيدا ١٣٣٢

هذا ما استطعت تلخيصه من المحاضرات التي القيتها على طلبة الماجستير في موضوع الدواوين وفي جو السرعة التي يتطلبها اتمام البحث الذي نشر القسم الاول منه في هذه المجلة ولا أظن ان عدد الدواوين المطبوعة سيزداد زيادة مهمة اذا ضاعفنا الجهد والاستقصاء .

اما الدواوين المخطوطة لشعراء القرن الرابع الواصلة الينا فلا تتجاوز هذا العدد بكثير واشهر المعووف منها : ديوان ابن الحجاج ، وديوان ابن نباته السعدي ، وقد رأيت من المناسب أن اترك اعداد جريدة بها وبالدواوين الضائعة لشعراء هذا العصر الى الاستاذ عبدالصاحب الوائلي الذي يحضر رسالة ماجستير عن اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع ، وقد اطلعني على مسودة قائمة هيأها لهذا الغرض .

اما دواوين الاعصر العباسية عامة سواء كانت مطبوعة ، او مخطوطة مبعثرة في المكتبات ، او لها ذكر في المصادر والفهارس ، وسنرجؤها الى ملاحق نعدها في المستقبل القريب . ولا يخفى ما يتطلبه مثل هذا العمل من وقت طويل وجهد جهيد .